خضوع متبادل
(أفسس ٥:٢١)

تأليف: جو شوبيرت

كنت قد درست في الماضي مقرر تعليمي يسمى «علم تفسير الكتاب المقدس»، هذا يعلم الطلاب كيف يمكنهم معرفة ما يقوله الكتاب المقدس، وما يعنيه، وكيف يطبق عليهم. بعض أجزاء الكتاب المقدس تتطلب جهد قليل لفهمها. على سبيل المثال، الوصية القائلة: «لا تسرق» هي واضحة. لا نحتاج إلى مقرر تعليمي في تفسير الكتاب المقدس لنفهم ما تعنيه.

كلنا نمارس التفسير في حياتنا اليومية. بعضها بسيطة. قراءة الاشارة (قف) في حركة المرور، لا تحتاج إلى كثير من التفسير، نعرف حالاً ما تعنيه الإشارة. هناك حالات أخرى تتطلب منا الكثير. قراءة وفهم كتاب المنهج في الفيزياء النووية قد يتطلب جهداً.

لنفكر الآن في آية واحدة، وهي الآية ٢١ من الأصحاح الخامس. لا يصعب فهمها. الصعوبة ليست في الفهم، بل في تطبيق هذا التعليم في الحياة.

هذه الآية تظهر في محتوى نصيحة بولس بان يمتلؤا بالروح. قال بولس في أفسس ٥:١٨ «ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلؤا بالروح.» ومن ثم وصف بولس بعض الحقائق لحياة الإمتلاء بالروح.

أولاً: الحياة الممتلئة بالروح تقود إلى شركة مخاطبة بعضنا البعض بطرق روحية. عندما نغني: نحن مكلمين بعضنا لبعض «بمزامير وتسابيح وأغاني روحية» (أفسس ٥:١٩). الحقيقة الثانية تتضمن على الترتيل في القلب للرب. الثالثة هي الشكر لله في كل شيء (أفسس ٥:٢٠)، والحقيقة الرابعة توجد في الآية ٢١. انها مثل إشارة (قف) في المرور؛ لا تتطلب جهد لفهمها. بها ست كلمات واضحة: «خاضعين بعضكم لبعض في مخافة المسيح.»

نصيحة واضحة

اصر بولس على أن الإمتلاء بالروح يقودنا إلى التخلي عن رغباتنا من أجل الآخرين. الكلمة اليونانية لـ «خاضعين» هي من كلمة كانت أصلاً صيغة عسكرية، وكانت تعني «التقليل أو التجريد من الرتبة.» المسيحيون الممتلؤون بالروح يقللوا من مقامهم بعضهم لبعض. يفضلون أن لا يخلقوا مشكلة بسبب أرائهم الشخصية.

أتذكر عندما عين فريق «دالاس كاوبوي» بمدينة دالاس الأمريكية مدرب جديد، وفي معسكر التمرين، أخبر أن مساعد المدرب بدأ يسعى وراء المنصب محاولاً أن يرى من الذي يرغب أن يكون مساعد. هذا يحدث كل مرة في مكان العمل، وقد نجد الشيء نفسه في المدرسة – يضغط الناس ويدفعون لمناصب النفوذ لكي يفعلوا ما يرضيهم عادة.

يريد منا بولس أن نفهم بأن الحياة بتلك الطريقة ليست من خيار المسيحيين. نحن لا نقوم بمكيدة ومناورة لكي نجعل الأشياء تعمل حسب إرادتنا. لا يلعب المسيحيين تلك اللعبة. حاول اثنين من تلاميذ يسوع مرة:

> وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي قائلين: «يا معلم، نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا!» فقال لهما: «ماذا تريدان أن أفعل بكما؟» فقالا له: «أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك» (مرقس ١٠:٣٥-٣٧).

أراد يعقوب ويوحنا أن يكونا فوق الآخرين

في الملكوت القادم، أراد أن يحصلا على كل ما يستطيعا الحصول عليه. وكان على يسوع أن يريهما أسلوب جديد للحياة:

> أنتم تعلمون أن الذين يحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وأن عظماءهم يتسلطون عليهم. وأما أنتم، فلا يكون هكذا فيكم، بل من أراد أن يصير فيكم عظيماً، يكون لكم خادماً؛ ومن أراد أن يصير فيكم أولاً، يكون للجميع عبداً. لأن ابنَ الإنسان أيضاً لم يأت ليُخْدَمَ بل ليَخْدِمَ وليبذل نفسه فدية عنَ كثيرين (مَرقسَ ١٠:٤٢-٤٥).

قال لهم يسوع، «هذا لا يكون في الملكوت، هكذا كان في الماضي ولكن يكون مختلف في الملكوت. في الملكوت لا يكون الآخذ أكثر أهمية كالعطاء.»

الناس الممتلئن بالروح، لا يصرون على طريقتهم، بل ينظرون أولاً لحاجة الآخرين. هم «خاضعين بعضهم لبعض».

اقرأ أفسس ٥:٩١ مرة أخرى، ولاحظ الدافع الواضح للخضوع المتبادل: «في مخافة المسيح.» وتعني حرفياً «بسبب مخافة المسيح» الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى «مخافة» هي {فوبوس}. الخوف يحمل وزناً أثقل من «طاعة.» قال سليمان الحكيم: «...اتق الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو كل واجب الإنسان» (الجامعة ١٢:١٣). مخافة الله هي أن تأخذ الله بجدية. نضع في الاعتبار من هو الله ومن نحن، هذا يأتي بنا إلى الخضوع. هذا يفسر أخذ الله بجدية. كان بولس يقول لنا أساسا: «أنتم تظهرون الجدية بالمسيح عندما تخضعون بعضكم لبعض.»

سلوك الطاعة مطلوب في كل علاقاتنا مع الآخرين. هل أنت خادم في البيت؟ هل الناس في مكان العمل أو في المدرسة يعتبرونك كمن يشدد على العطاء للآخرين عوضا عن الأخذ منهم؟ ماذا عن الكنيسة المحلية؟ هل حضورك هناك من أجل ما تحصل عليه؟ هل تضع في الاعتبار الاحتياجات والهموم وأحاسيس إخوتك وأخواتك؟

الكنيسة هي مكان التدريب للخضوع المتبادل. يضم الله في الكنيسة أناس من مختلف الاتجاهات. نتعلم كيف نطيع، ونكرم، ونستسلم بعضنا لبعض. أسوأ سلوك يمكن أن نأتي به إلى الكنيسة هو تفكير العالم القائل «عليّ أن أعمل كما أريد وإلا سوف لا أكون سعيدا.» ذلك يحضن روح هذا العالم، وليس روح المسيح.

تعليق شخصي

أفضل تعليق على أفسس ٥:٢١ يوجد في الأصحاح ٢ من الرسالة إلى أهل فيلبي كتبه بولس في وقت قريب من وقت كتابته للرسالة إلى أهل أفسس. من الواضح أن الكنيسة الأولى كانت تعاني كما نعاني نحن الآن في العلاقات، والإنسجام مع الآخرين، وأن يكون لها طبع العطاء عوضا عن الآخذ. كتب بولس ما يلي:

> لا يكن بينكم شيء بروح التحزب والافتخار الباطل، بل بالتواضع ليعتبر كل واحد منكم غيره أفضل كثيرا من نفسه، مهتماً لا بمصلحته الخاصة بل بمصالح الآخرين أيضا (فيلبي ٢:٣ و ٤).

ذلك يفسر مفهوم الخضوع لبعضنا البعض. والآن، لاحظ الدافع وراء الخضوع؛ له علاقة مع المسيح.

> فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب نفسة خلسة أن يكون معادلا لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في هيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (فيلبي ٢:٥-١١).

الخضوع المتبادل يأتي بالتواضع. أظهر يسوع لنا ما هو التواضع. التواضع هو علامة للحياة المملوءة بالروح. علاقتنا مع الناس لا تكون أبداً ما أراد لها الله أن تكون دون التواضع. انها تجعلنا في الدرب المستقيم، وتحفظنا من أن نصير متعصبين وعنيدين.

التواضع يجعلنا نحس بشعور الآخرين، ويساعدنا أن نحتمل ضعف الآخرين ويحررنا من السعي وراء مصالحنا الشخصية. التواضع يجعل الوصول إلينا والتحدث معنا ممكنا ولا يجعلنا في موقف الدفاع من بعضنا البعض.

انه يجعلنا ننظر إلى الآخرين في روح النعمة عوضاً عن البحث عن كل خطأ وعيب يمكن أن نجده فيهم. التواضع يشجعنا لنطلب ما هو أفضل لبعضنا البعض، ويحفظنا بعيداً عن التخمينات، القيل والقال، والسخرية على منصب. التواضع هو الخضوع لبعضنا البعض في مخافة المسيح.

علينا أن نظهر التواضع في منازلنا، وفي معاملتنا اليومية مع الناس، وفي الكنيسة.

درس تطبيقي

« خاضعين بعضكم لبعض في مخافة المسيح » (أفسس ٥:٢١). هذا يبدو واضحاً، أليس كذلك؟ الفهم أسهل من التطبيق. لنفكر في ثلاث اقتراحات قد تساعنا لنطبق هذا بطريقة أفضل في حياتنا اليومية:

١. سمي رغبتك للسعي وراء مصلحتك الشخصية كما هي – أي فكر دنيوي عكس تعاليم يسوع. ربما نبرر السعي وراء مصلحتنا ما دمنا لا نراه كما هو حقاً.

٢. أدخل في كل علاقة بسؤال واحد: « ما الذي يريد أن يعطيه يسوع لهذا الشخص بواسطتي؟ »

٣. تعال قدام الرب في صلاة يومية بهذا الطلب: « أرني النطاق الذي لا أخضع فيه للآخرين كما تريد مني أن أفعل. » دع يسوع يساعدك لترى أين تحتاج أن تقوم ببعض التغيرات في التعامل مع الآخرين.

الخلاصة

العلاقة الأكثر أهمية في الحياة هي علاقتنا مع الله. علينا أن نخاف الله ونحفظ وصاياه. قد أعلن الله عن يسوع قائلاً: « هذا هو ابني، له اسمعوا. » يريد الله منا أن نسمع ونكرم يسوع. لا يمكن أبداً أن تكون أية من العلاقات الأخرى في الحياة ما ينبغي أن تكون إلا إذا كانت حياتنا مستقيمة مع يسوع.

أعطي حياتك ليسوع، فهو يمنحك غفران الخطايا وبداية جديدة في الحياة. اسمعه واطع وصاياه. قال يسوع: « من آمن وأعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن » (أنظر مرقس ١٦:١٥ و ١٦). هل خضعت لوصيته؟

ربما تمت إدانتك كمسيحي بالآية ٣١ بانك لم تظهر احترام للمسيح. ربما قمت أخيراً بالإصرار من أجل مصلحتك الخاصة وغير مهتم بالآخرين. هذه معركة، فكلنا نكافح بالأنانية. أطلب من الرب في صلاة أن يقويك في جهادك الشخصي، « اخضعوا بعضكم لبعض في مخافة المسيح. » يحدث ذلك عندما يكون الناس مملوئين بالروح.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧